جامعة بنها
كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

الاستشـــراق
"مفهومـــه ونشأتـــه ومراحلـــه"
Orientalism Its concept, origin, stages

إعداد/

أحمـد سليـم السيد عـوض
بـاحـث دكتـــوراه

المجلد ٦٣ ديسمبر ٢٠٢٤
https://jfab.journals.ekb.eg/

الملخص :

يتلخص هذا البحث في الاستشراق وما يتعلق به من مفهومه وهو ما كتبه الغربيون عن هذا المجال المعرفي الذي أنشئت المعاهد والكليات والأقسام العلمية لدراسته ويرى بعض الباحثين الغربيين أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان ومنهم من قال بأن الاستشراق هو علم يختص بفقه اللغة خاصه ومنهم من قال بأن مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الإنجليزية والاستشراق إنما ظهر للحاجة لإيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق ومنهم من يقول بأنه دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون للإسلام من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافته وحضارة وثروات بهدف تشويه الاسلام وغير ذلك من التعريفات العديدة.

أما عن نشأته فقد اختلف الباحثون في تحديد سنة نشأة الاستشراق فمنهم من يرى أن مبدا الاستشراق يعود إلى الراهب الفرنسي جربر دوي أوريك وهناك من ادعى بأن بداية الاستشراق تعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي حيث تمت فيه ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية وغير ذلك لكن من الصعب تحديد تاريخ معين لنشأة الاستشراق.

- مراحل الاستشراق
- مرحلة دينية
- مرحلة عسكرية
- مرحلة سياسية
- مرحلة علمية

فقد نشأ الاستشراق بعد أن شعر الغرب بعجزه عن مواجهة المسلمين عسكريا في عهد الفتوح الإسلامية ثم انحسار الحملات الصليبية دون حصولهم على النتيجة المطلوبة.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق (مفهومه ، نشأته ، مراحله).

مقـــدمـــة:

بدأ الاستشراق عمله في الشرق بدواع وأهداف مختلفة من السياسية والدينية والاستعمارية والعلمية و...الخ. والدافع الذي ركّزنا عليه في هذا الموجز هو الدافع العلمي الذي قام به المستشرقون منذ بداية حركتهم في كشف كنوز اللغة العربية التي كانت خافية عن الأنظار سنين متمادية.

وقد ساعدهم على العمل حبّهم للبحث، واهتمام حكوماتهم بهم بما أعطتهم من مال ووقت، ووفّرت لهم المطابع والمنابر الجامعية لتدريس اللغة العربية والبحث العلمي في آثارها.

ولقد نشأت حركة الاستشراق فى جو خانق من الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين وبنى الإسلام حيث انبعثت من الكنيسة، وعاشت فى ظلها وارتبطت بأهداف المبشرين والمستعمرين، لذا جاءت كتابات المستشرقين تطفح بالحقد الأعمى والسم الزاعف إلا ما ندر منها؛ فالتبشير والاستعمار والاستشراق ثلاث حلقات *

(*) نحيل القارئ الكريم إلى كتاب: أجنحة المكر الثلاث وخوافيها: التبشير والاستشراق والاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه: عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى، الطبعة السادسة ١٩٩٠م، دار القلم دمشق.: عبدالقادر البحراوي الاستشراق والمستشرقون، مكتبة النور، السعودية وكذلك: محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط٢،

متداخلة ومتعاونة، ولا شك فى أن تعريف علم الاستشراق هو ضرب من محال، وكل تعريف نجهد أنفسنا لاعطائه لا يكون جامعاً مانعاً (بلغة المنطق) وإن كان الاستشراق: هو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، وكان هدفهم الأساسى هو دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية، بعبارة أخرى، (إن المفهوم العام للاستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التى قام الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه).[١]

والمستشرقون هم الذين يقومون بهذه الدراسات من غير الشرقيين. ولو أخذنا بعين الاعتبار هؤلاء الناس الذين قاموا بهذه الدراسات والبحوث لوجدناهم تختلف صفاتهم وتخصصاتهم طبقاً للمراحل المختلفة التى مر بها الاستشراق، فقد اهتم بالشرق قديما وحديثا الرحالة، والمبشرون، والضباط، ورجال الإدارة الاستعمارية، واللغويون، واللاهوتيون، وعلماء الآثار، والانثرويولوجيون، ومؤرخو الحضارات والتربويون، والرومانسيون، ورجال الاستخبارات، والمؤرخون الاقتصاديون، ومندوبو الشركات وخبراء الأسواق التجارية والسياسيون، والمهتمون بالشرق كافة.[٢]

وينبغى أن نلحظ منذ البداية إننا إذا عرفنا أن الاستشراق هو التخصص فى فروع المعرفة المتصلة بالشرق، وهو ما يطلق عليه عادة المفهوم الأكاديمى فإنه قد انحسر فى الوقت الحاضر، لأن ليس كل دارس لإحدى الثقافات الشرقية يمكننا أن

القاهرة، دار المنار، ١٩ ٢ وانظر كذلك احمد عبدالحميد غراب، رؤية إسلامية للإستشراق، ط٢، لندت، المنتدى الإسلامي ١٤١١ه

انظر أيضا: لظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ساسى سالم الحاج، مركز دراسات العالم الإسلامى الطبعة الأولى مالطا ١٩٩١م. ط١، ص٢١.

(٢) وانظر إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث: مالك بن نبى: مجلة الفكر العربى يونيو ١٩٣٨م، السنة الخامسة، ص١٣٠ وما بعدها.

نطلق عليه اسم مستشرق. فيكون هذا المفهوم قد أخذ فى الزوال بعد أن كانت هذه الدراسات قد تناولت فى الماضى جميع المعارف المنصبة على الشرق عامة وعلى الإسلام خاصة.

ومما هو جدير بالذكر أن عمل الدارسين للإسلام من المستشرقين يمضون على نزعتين رئيسيتين: الأولى تمكن الاستعمار الغربى فى البلاد الإسلامية وتأهيل النفوس بين سكان هذه البلاد بقبول النفوذ الأوربي والرضا بولاتيه.

والثانيـة: الروح الصليبية فى دراسة الإسلام، تلك النزعة التى لبست ثوب البحث العلمى [1] فالهدف الإسلامى إذاً من كتابات المستشرقين عن الإسلام ونبيه- صلى الله عليه وسلم- هو التشويه والطعن والتشكيك، وإن تستروا بقناع البحث العلمى لإخفاء هذه الأهداف المسمومة.

أهمية البحث:

تعتبر الدراسة الاستشرافية مصدر كثير من الغربيين لفهم الثقافة الإسلامية، بل تتعدى إلى تأثيرها في السلبيات تجاه أمم الشرق، وهذا ما يحتم على الباحثين المسلمين أن يهتموا بها دراسةً وتصحيحًا.

وتتلخص أهمية البحث في:

١- معرفة معنى الاستشراق.

٢- معرفة وتوضيح نشأة الاستشراق.

٣- الوصول ومعرفة الأهداف التي يسعى إليها الاستشراق.

(1) الفكر الإسلامى الحديث، وصلته بالاستعمار العربى، محمد البهي، الطبعة الخامسة دار الفكر بيروت ١٩٧٠م. ص٣٥.

مشكلة البحث:

عندما تنظر إلى السلبيات في الأعمال الاستشراقية فإننا نجد أن هناك سلبيات في الدراسات التي تناولت القرآن الكريم والوحي والسنة وسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم).

وأبرز هذه السلبيات تقوم على غياب العملية والموضوعية والمنهجية في معظم الأحيان، وتقوم على التشكيك في إلهية القرآن الكريم ونزول الوحي على الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وعلى اتهام المستشرقين الأحزاب السياسية والفرق التاريخية بوضع الأحاديث على لسان الرسول (صلى الله عليه وسلم)، على الأرجح أن هذه السلبيات جاءت من أسباب متعددة مرتبطة بظروف نشأته من جهة ومرتبطة بظروف الحضارة الغربية من عنصرية وعرقية ومركزية وادعاء بالتفوق.

مصطلحات البحث:

– الاستشــراق:

الاستشراق (لغة) مصدر من الفعل السداسي: استشرق، وأصله: (شَ رَ قَ)، والألف والسين والتاء إذا سبقت الفعل الثلاثي أفادت الطلب، وعلى هذا فاستشرق: أي طلب الشرق. والشرق: الشمس، أو الجهة التي تشرق منها، والمَشْرِق: مثله، وفي النسبة: مَشْرِقِي (بفتح الراء وكسرها). والشَرْقَة والمَشْرقة (مثلثة الراء): موضع القعود في الشمس بالشتاء. وتشرَّق: أي جلس فيه. وأشْرَق: دخل في وقت شروق الشمس، وأشرقت الشمس:

أضاءت.جاء في المعجم الوسيط: «شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت»[١](وفي لسان العرب: شرق: شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، وإسم الموضع: المشرق.. والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق،

أما في الاصطلاح: فإننا نعود إلى ما كتبه الغربيون أولاً عن هذا المجال المعرفي الذي أنشئت المعاهد والكليات والأقسام العلمية لدراسته. ويرى بعض الباحثين الغربيين أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان.

لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير. ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، فهذا آربري Arberry [٢]في بحث له في هذا الموضوع يقول: " والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة ١٦٣٨(أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية) وفي سنة ١٦٩١ وصف آنتوني وود Anthony Wood صمويل كلارك Samuel Clarke بأنه (استشراقي نابه) يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. وبيرون في تعليقاته على Childe Harold's Pilgrimage يتحدث عن المستر ثورنتون وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق."[٣]

(١) المعجم الوسيط: ج١، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص٤٨٢.مادة شرق

(٢) آربري: مستشرق بريطاني التحق بجامعة كامبريدج لدراسة اللغات الكلاسيكية اللاتينية واليونانية، وشجعه أحد أساتذته منس على دراسة العربية والفارسية، ارتحل إلى مصر لمواصلة دراسته للغة العربية، عاد إلى مصر ليعمل في كلية الآداب رئيساً لقسم الدراسات القديمة (اليونانية واللاتينية) وزار فلسطين وسوريا ولبنان.

(٣)- ا. ج آربري. المستشرقون البريطانيون .تعريب محمد الدسوقي النويهي. (لندن: وليم كولينز، ١٩٤٦) ص٨.

وقد عرّف غربيون آخرون الاستشراق ومن هؤلاء المستشرق رودي بارت [١] حيث يقول:" الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة. وأقرب شي إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه، كلمة استشراق مشتقة من كلمة "شرق" وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي." [٢] ويعتمد المستشرق الإنجليزي آربري تعريف قاموس أكسفورد الذي يعرف المستشرق بأنه " من تبحّر في لغات الشرق وآدابه."[٣]

ومن الغربيين الذين تناولوا ظهور الاستشراق وتعريفه المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Rodinson الذي أشار إلى أن مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الفرنسية عام ١٧٩٩بينما ظهر في اللغة الإنجليزية عام ١٨٣٨، وأن الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلى " إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق" ويضيف بأن الحاجة كانت ماسة لوجود متخصصين للقيام على إنشاء المجلات والجمعيات والأقسام العلمية. [٤]

ولإدوارد سعيد عدة تعريفات للاستشراق منها أنه: " أسلوب في التفكير مبني على تميّز متعلق بوجود المعرفة بين "الشرق"(معظم الوقت) وبين الغرب"[٥]ويضيف

(١) رودي بارت: مستشرق ألماني درس في جامعة توبنجن اللغات السامية والتركية والفارسية في الفترة من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٤وتخرج على يد المستشرق الألماني ليتمان.امضى سنتين في القاهرة (١٩٢٥-١٩٢٦)، كان اهتمامه في البداية بالأدب الشعبي ولكنه تحول إلى الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية وبخاصة القرآن الكريم.

(٢) رودي بارت. **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية(المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه).** ترجمة مصطفى ماهر(القاهرة: دار الكتاب العربي) (بدون تاريخ) ص ١١.

(٣) ا. ج. آربري. **المستشرقون البريطانيون .** مرجع سابق ص٨.

(٤) مكسيم رودنسون ." الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية." في **تراث الإسلام (القسم الأول)** تصنيف شاخت وبوزورث. ترجمة محمد زهير السمهوري، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، شعبان /رمضان١٣٩٨هـ- أغسطس ١٩٧٨م.)ص٢٧-١٠١.

((5) Edward Said. **Orientalism.** (New York: Vintage Books, 1979) p.2.

سعيد بأن الاستشراق ليس مجرد موضوع سياسي أو حقل بحثي ينعكس سلباً باختلاف الثقافات والدراسات أو المؤسسات وليس تكديساً لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق ... إنه بالتالي توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية وعلمية واقتصادية واجتماعية وفي فقه اللغة [١]. وفي موضع آخر يعرف سعيد الاستشراق بأنه المجال المعرفي أو العلم الذي يُتوصل به إلى الشرق بصورة منظمّة كموضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق.[٢]. ويقول في موضع آخر إنّ الاستشراق: نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق."

ويقول أنور عبدالملك الذي عالج ظاهرة الاستشراق قبل إدوارد سعيد: إنَّ الازدهار الحقيقي للدراسات الشرقية في القطاعين الرئيسيين هما الشرق الأقصى والعالم العربي يعود تاريخه بالدرجة الأولى إلى عصر التمركز الاستعماري، وبشكل خاص إلى السيطرة الأروبية على القارات المنسيّة في أواسط القرن التاسع عشر، ثم في ثلثه الأخير[٣].

ويذهب البعض إلى أن الاستشراق هو: دراسات "أكاديمية " يقوم بها غربيون – للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب: عقيدة ،وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات وإمكانات. .. بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب على الشرق ا."[٤]

([1]) -Ibid. p 12.
([2]) -Ibid. p73..
([٣]) أنور عبدالملك، («**الاستشراق في أزمة**». مجلة***ديوجين***. العدد ٣. باريس١٩٦٣م)..ص٧١
([٤]) أحمد عبد الحميد غراب . **رؤية إسلامية للاستشراق.مرجع سابق** ص ٧.

وينبغي ان نلاحظ منذ البداية أنه يجب على الباحث أن يتجرد عن أي أفكار سابقة أو تعميمات. ومن خلال متابعة للاستشراق فإننا يمكن أن نقول إنّ الاستشراق هو كل ما يصدر عن الغربيين من أوروبيين(شرقيين وغربيين بما في ذلك السوفيت) وأمريكيين من دراسات أكاديمية (جامعية) تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن، كما يلحق بالاستشراق كل ما تبثه وسائل الإعلام الغربية سواء بلغاتهم أو باللغة العربية من إذاعات أو تلفاز أو أفلام سينمائية أو رسوم متحركة أو قنوات فضائية، أو ما تنشره صحفهم من كتابات تتناول المسلمين وقضاياهم. كما أن من الاستشراق ما يخفى علينا مما يقرره الباحثون والسياسيون الغربيون في ندواتهم ومؤتمراتهم العلنية أو السرية. ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه البعض ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي. ولا بد أن نلحق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين وتبنوا كثيراً من أفكار المستشرقين حتى إن بعض هؤلاء التلاميذ تفوق على أساتذته في الأساليب والمناهج الاستشراقية. ويدل على ذلك احتفال دور النشر الاستشراقية بإنتاج هؤلاء ونشره باللغات الأوروبية على أنها بحوث علمية رصينة أو ما يترجمونه من كتابات بعض العرب والمسلمين إلى اللغات الأوروبية.

وهكذا اختلفت معاني الاستشراق تبعاً للهدف الذي وجّه أصحابه، ومن هذه التعريفات والمعاني للاستشراق ما يلي: هو أسلوب غربي لمعرفة العالم الشرقي عن طريق البحث أو التخصص في الشرق، بدراسة علوم وآداب وديانات وتاريخ شعوب الشرق، للسيطرة عليه.

وهناك تعريفات عديدة غير هذه التعريفات تختلف باختلاف مجال الدراسة، والمنطقة المدروسة، والجهة الدارسة(والملاحظ: أن بعض هذه التعريفات ركز على جانب دون جانب إلا أنها تجمع على دراسة علوم الشرق، وخاصة الإسلام.

ويجب أن نتوقف عند القرار الغربي[١] بالتوقف عن استخدام مصطلح استشراق أو كما قال برناردلويس[٢] إن هذا المصطلح قد ألقي به في مزابل التاريخ. فقد رأى الغرب أن هذا المصطلح ينطوي على حمولات تاريخية ودلالات سلبية وأن هذا المصطلح لم يعد يفي بوصف الباحثين المتخصصين في العالم الإسلامي. فكان من قرارات منظمة المؤتمرات العالمية في مؤتمرها الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣ بأن يتم الاستغناء عن هذا المصطلح، وأن يطلق على هذه المنظمة (المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقياICHSANA)[٣]وعقدت المنظمة مؤتمرين تحت هذا العنوان إلى أن تم تغييره مرة ثانية إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية ICANAS). وقد عارض هذا القرار دول الكتلة الشرقية (روسيا والدول التي كانت تدور في فلكها)[٤] ومع ذلك ففي المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية الذي عقد في بودابست بالمجر

(١) ينظر عبدالقادر البحراوي: الاستشراق والمستشرقون، مرجع سابق، ص١٣ وما بعدها .

٢ ولدعام١٩١٦وحصل على الشهادة الجامعية الأولى من جامعة لندن عام١٩٣٦!!، سافر إلى باريس فتتلمذ على يد ماسينيون، ثم عاد إلى لندن وحصل على الدكتوراة من جامعتها عام ١٩٤٠ عن رسالة بعنوان أصول الاسماعيلية تحت اشراف هاملتون جب، . رأس قسم الدراسات الشرقية بالجامعة منذ عام ١٩٥٧ لمدة ١٧ عام .، ثم انتقل ٰلى جامعة برستون بأمريكا وحصل على الجنسية الامريكية، ثم اصبح كمديرا لمعهد بحو اننبرج للدراسات اليهودية والشرق الأدني بولاية فيلاديفيا.

(3)Bernard Lewis.” The Question of Orientalism. In New York Times Review of Books. June 24,1982. Pp. 49-56.

(4)Bernard Lewis. “ The Ouestion of Orientalism.” Op., Cit.

كـان مصـطلح استشـراق ومستشـرقين يسـتخدم دون أي تحفظـات، ممـا يعنـي أن الأوروبيين الغربيين والأمريكيين هم الأكثر اعتراضاً على هذا المصطلح ولعل هذا ليفيـد المغـايرة بحيـث يتحـدثون عـن المستشـرقين ليثبتـوا أنهـم غيـر ذلـك بـل هـم مستعربونArabists [١] أو إسلاميون Islamists أو باحثون في العلوم الإنسانية Humanistsأو متخصصـون فـي الدراسـات الإقليميـة أو الاجتماعيـة أو الاقتصـادية التي تختص ببلد معين أو منطقة جغرافية معينة. أما موقفنا نحن من هذا التخصص أو التخصصات فإنه يسعنا ما وسع الغربيين فإن هم اختاروا أن يتركوا التسمية فلا بـأس مـن ذلـك شـريطة أن لا نغفـل عـن اسـتمرار اهتمـامهم بدراسـتنا والكتابـة حـول قضـايانا وعقد المـؤتمرات والنـدوات ونشـر الكتـب والـدوريات حـول العـالم الإسـلامي واسـتمرار أهـداف الاستشـراق. وأن لا يصـرفنا تغييـر الاسـم عـن الـوعي والانتبـاه لمـا يكتبونه وينشرونه.

نشـأة الاستشـــــراق:اختلف الباحثون في تحديد سنة نشأة الاستشراق. فيرى بعضٌ أن مبدأ «الاستشراق» يعود إلى الراهب الفرنسي "جربر دوي أوريك "الذي قصد بلاد الأندلس الإسلامية، وتتلمذ على يد أساتذتها في إشبيلية وقرطبة، حتى أصبح أوسع علماء عصره اطلاعاً. وقد تقلَّد فيما بعد منصب البابوية في روما باسم سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م).

(١) المستعربين الأسبان وهم الإسبان المسيحيين الذين أقاموا في البلاد الإسلامية وعاشوا تحت ظل الحكم الإسلامي، فقد سرت إليهم العادات الإسلامية وتعلموا اللغة العربية وكتبوا بها وألف بعضـهم كتبـاً بهـا، بـل واقتنـوا مكتبـات عربيـة. راجـه عبـدالقادر البحـراوي: الاستشـراق والمستشرقون ص١٥.

وهناك من ادعى أن بداية الاستشراق يعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي، حيث تمّت فيه ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، وظهر فيه أول قاموس لاتيني - عربي.

ويذهب البعض الى ان بداية الاستشراق يعودالى قرار من مجمع فينّا الكنسي الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الاروبية؛ مثل: باريس وأكسفورد وغيرها في سنة ١٢٤٥ م... ولكن بداية حركة الاستشراق المنظَّمة كانت في أواخر القرن التاسع عشر، عندما اُستعمرت «القارات المنسية» ـ كما كان الأوربيون يسمّونها ـ فأُسّست المعاهد المتخصصة في دراسة الثقافات الشرقية، ثم نُظِّمت مؤتمرات المستشرقين. وقد انعقد أول مؤتمر لهم سنة ١٨٧٣م بباريس[١].

ومما لاشك فيه أنه من الصعب تحديد تاريخ معين لنشأة الاستشراق فبينما يرجع بعض الباحثين[٢] نشأة الاستشراق فى القرن السابع عشر عندما ظهر كتاب فى قواعد اللغة العربية لأربانيوس سنة ١٦١٣م وطبع كتاب المجموع المبارك فى التاريخ لابن العميد سنة ١٦٢٥م، مع ترجمة لاتينية ونقل القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية وطبع حينذاك ثم قام بوكوك (مستشرق إنجليزى) بترجمة بعض الكتب كمختصر الدول لابن العسيرى، ورسالة حى بن يقظان، ونظم الجواهر لسعيد بن الطريق، وخلفه مستشرق شهير فى أواخر القرن السابع عشر هو دريلو الذى وضع

(١) عبدالمنعم الخفاجي، (**الأدب العربي الحديث ومدارسه**. بيروت: دار الجيل. ١٩٩٢م)ص٣٢٢.
(٢) الرسول- صلى الله عليه وسلم- فى كتابات المستشرقين: نذير حمدان، الطبعة الثانية ١٩٨٦، دار المنارة جدة، ص٣٣. وما بعدها، بتصرف

أول دائرة معارف تبحث فى علوم الشرق باللغة الفرنسية أطلق عليها اسم (المكتبة الشرقية).

ويرجح بعضهم الآخر الاستشراق إلى أقدم من ذلك، فيرجع تاريخ الاستشراق فى بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادى؛ فقد أخذ بعض ملوك أوروبا اللغة العربية من علماء الأندلس وصقلية، وتعلم أمراء الصليبية، وبعض قوادهم اللغة العربية فى الشام، ولما قام البابوات بإنشاء الأديرة لبث الدعوة الدينية فى الشرق بدا لهم ان يعلموا الرهبان اللغة العربية؛ ففى سنة ١٢٥٤م أنشأت أول مدرسة عربية فى إشبيلية، ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق انتشر فى أوروبا بصفة جدية بعد فترة عهد الإصلاح الدينى معتبرين الغاء عصمة البابا في الإصلاح الدينى االمسيحي ذا أثر قوي في توجيه الإنسان الغربي نحو الاستقلال فى التفكير، وفى إفساح مجال للعلم والقوة وفى وضع معايير جديدة للحياة الإنسانية، وكما كان القرن السادس عشر هو مصدر الإصلاح الدينى فى الغرب، كانت نهايته بداية اتصال الغرب المسيحي بالشرق الإسلامى، وازداد هذا النفوذ بالتدريج، حتى وصل منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين منتهى ما يصل إليه نفوذ قوى على ضعيف.[١]

مراحل الاستشراق:

والمتتبع لحركة الاستشراق يجد أنها مرت بعدة مراحل[*]:

(١) انظر محمد البهى الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار العربى:، مرجع سابق ص٢٠.

(*) راجع فى ذلك: الظاهرة الاستشراقية، ساسي الحاج، مرجع سابق ص٣٥ وما بعدها، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها: هدى عبد الكريم مرعى، دار الفرقان الأردن ط

١- المرحلة الدينية.

٢- المرحلة العسكرية (آثار الحروب الصليبية على الاستشراق).

٣- المرحلة السياسية والاستعمارية.

٤- المرحلة العلمية.

أولاً: المـرحلـة الـدينيـــة:

إن اتصال الغرب بالحضارة الإسلامية اتصالاً فاعلياً ومؤثراً تمثل فى ظهور طلائع المستشرقين، ومعظمهم من الرهبان عن طريق مراكز الترجمة فلقد كان هناك مركزان من أكبر مراكز الترجمة اللاتينية فى أوروبا فى العصور الوسطى هما: (طليطلة) و(بلرمو).(*)

١٩٩١م، ص٤٥٠ وما بعدها، الرسول فى كتابات المستشرقين، نذير حمدان: مرجع سابق ص٣٥.

(*) تعد طليطلة من اهم مراكز الترجمة اللاتينية، وكانت فى أيدي المسلمين منذ عام ٧١١ ميلادية حوالي ٩٢هـ، وما سقطت طليطلة عام ١٠٥٨م على يد الفونس السادس، حتى صارت المنارة التى تشع منها الثقافة الإسلامية على أوروبا، وأصبح بلاط الفونس السادس مفتاح الثقافة الإسلامية على أوروبا، وكان طالبو العلم فى جميع أنحاء العالم اللاتينى قد بدوا يعرفون طريقهم إلى طليطلة فقدموا إليها تدفعهم الرغبة الملحة للاستزادة من علومها والتعرف على ثقافتها، وكانت الثقافة الإسلامية حتى بعد الاستيلاء عليها هى السائدة فيها، وكان اللاتين يعلمون تماماً أن لدى هؤلاء الأعداء فكراً وعلماً فجاءوا يتسابقون ليعملوا على نقل هذا الفكر وهذا العلم إلى علمهم اللاتينى، ومن ثم أصبحت طليطلة القبلة التى يتطلع إليها الراغبون فى الترجمة وأهم مركز من مراكزها، وكان القرن الثانى عشر نقطة تحول كبرى فى تاريخ الحضارة الأوروبية، إذ بدأ رجال الكنيسة يتراجعون بعض الشئ عن موقعهم حيال العلوم غير اللاهوتية، وبدأت تظهر الكتب المترجمة ويرجع الفضل فى قيام الترجمة إلى (ريموند دى كاستيل) كبير أساقفة طليطلة (١١٢٥م- ١١٥١م) ولقد انشأ ريموند هذا ديوانا للترجمة يحتوى على مجموعة عظيمة جداً من ثمار العقلية الإسلامية سواء فى العلوم أو الآداب، ولقد أدى هذا اليوان خدمات جليلة للعالم اللاتينى، وكان بمثابة النافذة التى أطل منها العالم اللاتينى على الحضارة الإسلامية ويعرف هذا الديوان باسم: معهد المترجمين الطليطلي Colrgio de Traductoroz Toledanog.
وأكثر المؤلفات العلمية العربية ترجمت عن طريق هذا المعهد وهى كتب: فى الرياضة والفلك والطب والكيمياء وعلم النفس، وترجم كذلك مؤلفات إقليدس وبطليموس وجالينوس

وابقراط بشروح: الخوارزمى والبتانى وابن سينا وترجم فى هذا الديوان كذلك أرجانون أرسطو وشروح المسلمين عليه، انظر: تاريخ الفكر الأندلسى: بالتيا، ترجمة حسين مؤنس ط القاهرة ١٩٥٥م، ص٥٣٧، ولقد كانت أول أعمال مدرسة طليطلة ترجمت الكتب العلمية والسبب فى ذلك أن المترجمين كانوا يخافون أن يتهموا بالزيغ والإلحاد إذا ما ترجموا كتب الأدب أو الفلسفة. ولذلك كانت الخطوة الأولى علمية عملية. أما الخطوة الثانية فكانت ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية. وخاصة فى دير كلوني Chluny وقد نمت هذه الترجمة تحت رعاية بطرس الجليل رئيس دير كلوني ويرى فرانز روزنتال Franz Roa Enthal أنه على الرغم من أن المرأ قد يميل إلى أن يدرج هذا العمل (ترجمة القرآن الكريم فى سلك الأعمال الأدبية، فإنه جاء فى الواقع بعيدا عن ذلك، ولكن نرد على روزنتال ونقول: إن اللاتين لم يكونوا على وعى بجمال الأسلوب القرآنى، وأنهم لم يفهموا المعنى الحقيقي لكثير من الآيات القرآنية، ولم يستطيعوا أن ينفذوا إلى عبقرية اللغة التى كتب بها القرآن، وإنما كان شغلهم الشاغل هو الوصول إلى فهم التفكير الديني عند المسلمين، واستغلال ما كانوا يتصورون أنه مواطن الضعف فيه وأرى أن هذا خير دليل على جمود العقلية اللاتينية فى ذلك العصر، وليس من شك فى أن التفكر اللاتينى قبل حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية كان فكراً باهتاً لا يعرف كيف يربط أشتاته الموزوعة والتى كانت خليطاً غير محدد من أوغسطينية وديونسوسية والأوغسطينية هى أفلاطونية مختلطة بعناصر نصرانية، ولكن قوة الأوغسطينية بدأت تتلاشى شيئا فشيئا، ومن هنا كان لابد من التلاحم بين الأوغسطينية والدبونسوسية وهى أيضاً مزيج من الأفلاطونية الحديثة والغنوصية الشرقية، فأبقى الجميع وعلى رأسهم (ريموند دى كاستيل) أنه لا توجد وحدة أو ترابط بين النظريات، أما الوحدة بين المذاهب= =والنظريات وهى ضالة اللاتين المنشودة فكانت موجودة فى الفلسفة الإسلامية، ومن ثم وجه المترجمون إلى ترجمة الكتب الفلسفية وبذلك خطت طليطلة الخطوة الكبرى التى قررت مصير الفلسفة المدرسية.

ولما ولي عرش أسبانيا الملك الفونس العاشر الذي كان يطلق عليه الفونس ملك قشتالة راعى الأدب والعلم، وكان يلقب دائما بالحكيم Elsadio فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى (١٢٥٢- ١٢٨٤م) دفع بمدرسة طليطلة إلى الأمام وعمل على حمايتها ورعاية علمائها، وتشجيعهم على الاستمرار فى جهودهم العلمية، ولقد دفع كبير أساقفة طليطلة (سوفيتية) بحركة الترجمة دفعة قوية. وإذا تحدثنا عن أشهر مترجمى مدرسة طليطلة فإننا نرى بوضوح بعض الشخصيات أمثال (دومينجو جندليز)Domingoo Gonzalez وباللاتينية يعرف باسم جنديسالفى أو جندساليوس Gurdiealinqug - Gundislavi فى حين نرى الغموض يحيط بشخصيتين أخريين هما: يوحنا الأسبانى وابن داود ويرى سيد مؤرخى العصور الوسطى (جيلسون) ونحن فى هذا نذهب معه: أننا هنا أمام شخصيتين مختلفتين لأن الكثير يعتقد أن يوحنا بن داود ويوحنا الأسبانى شخصية واحدة، ونستطيع أن نميز بين جيلين من مترجمى طليطلة ويمثل كل جيل مرحلة معينة.

المرحلة الأولى:

ويمثلها يوحنا بن داود - والذى يعتقد البعض خطأ أنه يوحنا الأسبانى الذى لم يكن إلا فلكيا - والذى ترجم بعض كتب ابن معشر والفرغانى وجنديسالفي: الذى يعد أنشط المترجمين فى مدرسة طليطلة.

وكان من كبار رجال الكنيسة الجامعة فى طليطلة، إذ كان أسقفاً لـ (سيفوفية Segovia) وميزة هذا الفريق: أنه كان يترجم الكتب العربية الفلسفية: مثل ترجمات لبعض مؤلفات ابن سينا وكتب النفس والطبيعة وما بعد الطبيعة لأرسطو وبعض آثار الغزالى مثل مقاصد الفلاسفة، بالإضافة إلى أنهم كانوا يصنعون من تأليفهم كتبا فلسفية لعل من أهمها كتاب جنديسالفي خلود النفس de immortalitate animae وهو مبنى على آراء ابن سينا وابن جبرول.

وكتاب خلق الدنيا وهو من أقدم الأعمال الفلسفية الأوروبية المصطبغة بالصبغة الإسلامية والمتأثرة بالأفلاطونية الحديثة. وكتاب فروع الفلسفة الذى نحا فيه نحى الفارابى. وهذه الميزة تذكرنا بفريق من مترجمى العالم الإسلامى من قبل وكان مترجما وكان فيلسوفا شارحا في الآن عينة - وهو فريق تراجمة السريان فى العالم الإسلامى، أمثال يحيى ابن عدي وحنين بن اسحق.

أما الجيل الثانى لحركة الترجمة فيمثلها جيرارد الكريموني gerardo di cremona وهو من أعظم المترجمين فى هذا العصر، ويعتبره البعض الأب الحقيقي لحركة الاستعراب في اوروبا، وقد ولد فى إيطاليا واستقر فى طليطلة وقضى بها معظم حياته حيث درس اللغة العربية وأتقنها ورحل إلى صقلية لدراسة الفلك وخاصة كتاب المحيسطي الذى ترجمه إلى اللاتينية حوالي عام ١١٧٥م ومن أهم ترجماته: ترجمة كتابي أرسطو: السماء والعالم، التحليلات الثانية، ورسالة العقل للكندي، وإحصاء العلوم للفارابي. ومن الكتب العلمية القانون فى الطب لابن سينا، والمنصورى للرازى وغيرهما.

ومع أن مدرسة طليطلة لم تبلغ عظمة بغداد كما يقول المؤلف فى نقل العلوم وترجمتها فقد كان لها دورها البارز فى إزاعة الثقافة الإسلامية فى البيئات العلمية والأوروبية.

انظر: انتقال التراث الإسلامى، البحراوي ص ١٥٧ وما بعدها.

ثانياً: بلرمو: Palermo

أما المركز الثاني من مراكز الترجمة اللاتينية فهو بلرمو عاصمة صقلية ولقد ازدهرت حركة الترجمة فيها بتوجيه من الطبقة الحاكمة نفسها، وأول من دفع حركة الترجمة والحركة العلمية هو الملك روجرRogr (١٠٩٦- ١١٥٤م) فلقد دفع روجر العالم اللاتينى إلى ترجمة آثار معينة، ومضى بلرمو وإلى درجة ما (سرقوسه) فى عهده تستورد الكتب= =اليونانية والعربية فاستحضر على وجه الخصوص كتب الجغرافيا أما فى أيام خلفائه وليام الأول والثانى فقد ازدهرت حركة الترجمة ازدهارا لم يسبق له مثيل. وكان من أشهر المترجمين (ارستبس) وزير وليام الأول، الذى ترجم الآثار العلوية لأرسطو، وفيدون ومينون لأفلاطون، ومنهم (يوحنا البلرمى) الذي ترجم بصريات بطليموس عن العربية وبعض كتب اقليدس وكليلة ودمنة...الخ ولقد نشطت حركة الترجمة فى بلرمو فى القرن الثالث عشر الميلادي وتحت رعاية الأمبراطور فردريك الثاني (١١٩٤- ١٢٥٠م).

والذى كان متأثراً تأثيراً عميقا بالحضارة الإسلامية، فطبع بها عصره، وكان شديد الإعجاب بالفلاسفة العرب والذين كان يقرأ مؤلفاتهم بالعربية والتى كان يجيدها وخاصة مؤلفات ابن رشد إذ كان يرى فى أفكاره المصباح الوضاء الذى ينير له سبيل الحياة، ولعله حصل على كتب ابن رشد جميعها ودعا إليها أساطين الترجمة فى عصره، وكان له عدة مترجمين تولى نشر أعمالهم بين الجامعات الأوروبية المختلفة، وفى مقدمتهم (مايكل سكوت) الذى يصفه البعض بأنه شخصية شبه أسطورية، ولقد كان يعمل منجما فى بلاط فردريك.

تعلم فى أسبانيا وألم إلماماً جيدا باللغة العربية، وأتقن العربية والعبرية، وأسهم فى حركة الترجمة بطليطلة، واتم فيها كثيراً من ترجماته التى نال بها شأناً كثيراً عند رجوعه إلى صقلية، ويبدو أنه كان يعرف كيف ينظم أعمال الترجمة فكان يوزع العمل على عدد من التلاميذ والأعوان ثم يتابع نشاطهم ويراجع أعمالهم، ولقد ترجم بعض كتب ابن سينا وتلخيص كتاب الحيوان لأرسطو مع شرح ابن سينا عليه، وأهم ترجماته كتب أرسطو من العربية وشروح العرب عليها وخاصة شروح ابن رشد عليها، إذ أنه أول من أدخل ابن رشد إلى اللاتين.

وكان لفردريك مترجم آخر هو تيودوس Theodorus ويحتمل أن يكون من أهل انطاكية، وكان قد ترجم له كتاب فى البررة (الصيد بواسطة الصقور) فكانت هذه الترجمة هي الأساس الذى اعتمد عليه فردريك فى تأليف كتابه المعروف باسم فن الصيد بواسطة الصقور.

وكان من الملوك الذين دفعوا حركة الترجمة قدما ملك صقلية نابولي (كارل انجو) (١٢٢٦- ١٢٨٥م) الذى اهتم بترجمة المؤلفات العربية إلى اللاتينية وكان له فريق من التراجمة أمثال (تمرج بن سالم) و (موسى السالوتي).

وقد قام فراغوت اليهودي بترجمة كتاب الحاوي فى الطب للرازى وكان كتاب الحاوي أحد الكتب التسعة التى تتكون منها مكتبة الكلية الطبية فى باريس عام ١٣٩٥م. انظر: العرب فى صقلية: إحسان عباس ص٥٨، دار المعارف بمصر ١٩٥٩م، وكذلك فضل العرب على أوروبا: زيجريد هونكة ترجمة فؤاد حسنين على ص٣٢٦، دار المعارف بمصر، مرجع سابق ص٢٤٧ وأيضا: Dona'd Campell: Arabian medicnire and its incjuens on the midde ages, London 1936 p 68.

فى الواقع أن جربرت دورياك البابا الفيلسوف الفرنسي الذي اعتلي عرش البابوية فيما بعد باسم سلفستر الثانى لم يكن من رجال القرن الثاني عشر وإنما هو فى الواقع من رجال القرن العاشر الميلادى فلقد أدرك هذا البابا حاجات عصره، وأيقن أن العالم اللاتينى فى حاجة إلى علم وفكر المسلمين، فذهب إلى أسبانيا وتعلم اللغة العربية وبرع في النطق والطبيعة والفلك والرياضة.

وعاد إلى بلاده وأسس مدرسة في (ريمز) ليعلم أهل بلده ما تعلمه من العرب في أسبانيا الأندلس، وربما يكون جربرت قد قام أيضا بالخطوة الأولى فى هذا الطريق بأن نقل معه عددا من كتب المسلمين والتى استطاع الحصول عليها فى أثناء رحلته فى أسبانيا وقام بترجمتها ومن الثابت أنه كان من أوائل من أيقنوا بعظمة الحضارة الإسلامية وبوجوب نقلها ولا يخفى علينا أن الحركة التى بدأها جربرت إنما آتت أكلها ونتج عنها حركة ترجمة واسعة بين الرهبان، الذين انفصلوا شيئا فشيئا عن تقاليد الكنيسة، وأقتنعوا بأن طلب العلم وحب المعرفة وضرورة= =العلوم الدنيوية إنما هى مطالب ينبغى أن يسعى إليها اللاتين ولقد أحدثت هذه الأفكار صدعا هائلا فى التفكير اللاتينى ولقد أسس فولبير تلميذ جربرت مدرسة شارتر عام ٩٩٠م كان من تقاليد هذه المدرسة دراسة العلوم الإسلامية ونجد مثلاً أن نسخة لاتينية من حكم ابقراط كانت تستخدم فى التدريس فى هذه المدرسة، ولقد افترض المؤرخون عند محاولة تفسيرهم لوجود مثل هذه الترجمة نفوذا ثقافيا عربيا مبكرا لسبب بسيط وهو أن مثل هذه الترجمة كانت عن اصل عربي وذلك لجهل اللاتين بالأصول اليونانية لأعمال اليونان القدماء فى ذلك الوقت انظر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم

وتتبعا للسرد التاريخي لهذه الحقيقة التى نؤرخ فيها للعلاقة بين النصرانية والإسلام فإننا نلحظ أن الاستشراق فى بداية أمره ما هو إلا أداة من أدوات التبشير تسعى الرهبان والقساوسة إلى تعلم اللغة العربية والتطلع فى الدراسات الإسلامية بغية فهم هذا الدين ثم نقضه من أساسه، ورد اتباعه إلى ديانتهم، ولا سيما أن هذه الترجمات والدراسات كانت غالباً لكتب فلاسفة عرفوا بالكفر والزندقة مما كان له أثر على أفكار المترجمين وخاصة كتب الالهيات والتى تحتوى على عقائد باطنية ومشككة بقاضيا عقدية مسلمة عند المسلمين عامة ومن أهمها قضية الالوهية والنبوة واليوم الآخر، واستمر الحال على ذلك مدة تزيد على أربعة قرون، ونشأت تلك الدعوة المسلحة إلى ضرورة مواجهة الإسلام بالأساليب العسكرية والاستيلاء على العالم الإسلامى.

العلمي: جلال مظهر ط ١٩٦٩م ص ١٢٩ وكذلك فضل الحضارة الإسلامية على العالم: زكريا هاشم نهضة مصر ١٩٧٠م، ص٣٤٩.

لقد أشار برنارد لويس إلى صلات الإنجليز بالحضارة الإسلامية بقوله إن الغربيين على العموم والإنجليز على الخصوص قد اتصلوا بالشرق قبل الحروب الصليبية بفترة طويلة، وقد وطدت هذه الحروب صلات الغرب بالشرق لا عن طريق تبادل الثقافة ولكن عن طريق احتكاك الشعوب احتكاكا يشوبه روح العداوة والحرب ومع ذلك تعرف كل منهما على الآخر، واهتدى إلى عيوبه ومحاسنه، ويرى برنارد لويس أن بعض الإنجليز وخاصة الجماعات التجارية تعلموا العربية فى أسبانيا، وعرفوا علوماً وآداباً وكان لهم أثرهم فى باقى الأوروبيين ممن لا يعرفون العربية وعن طريق هؤلاء نقل الكثير من ضروب الثقافة والحضارة الإسلامية إلى الإنجليز. ولقد انتقل الفكر الإسلامى إلى أكسفورد كما يقول جيلسون عن طريق قيام بعض الإنجليز بنقل التعليم العربى إلى بلدهم ومن أشهرهم أدبلارد البائي ودانيل المورلي والفريد العمرشلي ويذهب دى فيلار de villarde monmere إلى أنه منذ القرن الثالث الهجرى- التاسع الميلادى فصاعدا كثرت الترجمات لكتب العرب، وأصبحت مدينة هرفورد Hareord في القرن الحادى عشر الميلادى مركزا انجليزيا للدراسات الإسلامية.

ثانياً: مرحلة الاستشراق العسكرى، وارتباطه بالتبشير:

ليس من شك فى أن الحروب الصليبية كانت من أهم الحوادث الكبرى فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فكل من الشرق والغرب قد تأثر وأثر بالآخر.

وليس مجال بحثنا هو دراسة أسباب هذه الحروب الدينية والاقتصادية والعسكرية ولكن ما يهمنا هو دراسة نتائجها من الناحية الفكرية والثقافية لتحديد مرحلة الاستشراق وبيان الأسس التى قام عليه إبان هذه المرحلة.

وبعد أن خفت حدة المعارك بين النصارى والمسلمين قامت علاقة بين العدوين اللدودين تتسم بشئ من الصداقة؛ فلا شك فى أن الغرب يدين بكثير للحملات الصليبية فى مجال الحضارة المادية، فلقد وضعت الحملات الصليبية الديانة النصرانية على اتصال مباشر مع الشعوب الإسلامية على أرض الإسلام نفسها، فلم يكن القرنان اللذان قامت فيهما الممالك الإفرنجية فى شرق البحر المتوسط حروبا متواصلة لقد كانت هناك فترات من السلام أتاحت الفرصة لنمو العلاقات الإنسانية بين القوات المحتلة والمسلمين، واتصل عدد كبير من النصارى اتصالاً مباشراً بحضارة أسمى بكثير من حضارة أوروبا فى عصرهم؛ فقد وجد رجال الحملات الصليبية فى الشرق أشياء كثيرة جديدة عليهم وأساليب تقنية لم تكن معروفة لديهم فى الغرب؛ فعندما انتهت العمليات العسكرية نهائيا بطرد آخر الجنود الصليبين من عكا عام ١٢٩١م، قفل العديد من النصارى راجعاً إلى بلاده، ورافق ذلك الاستيلاء على الآف من الكتب والمخطوطات العربية، ونقلت جميعا إلى المكتبات الأوروبية المختلفة، وما زالت فى هذه المواطن إلى يومنا هذا.[١]

(١) انظر الظاهرة الاسشراقية: ساسي الحاج، مرجع سابق ٥٠/١.

وهـذه الكنـوز العلميـة والأدبيـة لا تـزال مصـدراً لا ينضـب للمستشـرقين قـديما وحديثاً.. من أجل هذا طالب بعضهم- مرة أخرى- بالعودة إلى الشرق، ولكن الغزو العسكرى لم يجد آذانا صاغية ناهيك عن عدم إمكانية نجاحه فاتجهت الأنظار إلى اقتحام هذه الديار بالطرق السليمة، فاستخدمت وسيلة التبشير لتحقيق تلك الآمال التى عجز الغزو العسكري عن تحقيقها.

فظهر روجر بيكون ينادى "أن الحرب المقدسة عديمة الجوى للاستيلاء على الشرق، وأن أفضل وسيلة لنشر النصرانية بين المسلمين هي التبشير السلمي والموعظة الحسنة".(١)

هذه العوامل وغيرها هى التى أدت بالبابا أنوست الرابع إلى اصدار أوامره عام ١٢٤٨م إلى مدير جامعة باريس بإنشاء كرسي للدراسات العربية والإسلامية بها، فكانت أول مدرسة أسست للدراسات الشرقية هى مدرسة طليطلة ثم مدرسة بالرمو التى أشرنا إليها فى النقطة السابقة.

وهكذا لعبت أسبانيا وصقلية دوراً بارزا فى نشوء الاستشراق الذي ارتكز فى أسسه على التبشير، وهكذا توالت جيوش التبشير بعد خيبة جيوش الاحتلال الصليبى عن أرض الشرق، واتخذت الاستشراق وسيلة لتحقيق أهدافها، ونحن فى هذه الدراسة لا يعنينا تتبع التبشير (٢) وبيان مؤسساته ووسائله، ولكننا نهتم بالعلاقات التى تربطه بالاستشراق.

(١) الإسلام فى القرون الوسطى، دومينك سورديل، ترجمة: على المقلد، دار التنوير للطباعة والنشر ط١، ١٩٨٣م، ص٤٦.
(٢) الظاهرة الاستشراقية: ساسي الحاج، مرجع سابق ٥٥/١ وما بعدها بتصرف.

ونلحظ أن هدف التبشير الأساس هو رد المسلمين عن دينهم، وهدم الإسلام فى عقائده وعباداته وقيمة، كما أن هدفه يتجلى فى تجزئة المسلمين أينما كانوا حتى يصبحوا أشتاتاً متفرقين لا تقوم لهم قائمة، ولا تجمعهم رابطة ولا تؤلف بين قلوبهم مودة، كما تتجلى أهداف التبشير في تشويه صورة الأمة الإسلامية ماضياً وحاضراً، وتصوير الإسلام بأنه دين تخلف لا دين تقدم.. وغيرها من الادعاءات التى لا تصمد أمام الحقيقة العلمية الموضوعية. والفرق بين الاستشراق والتبشير هو فى الوسائل فقط فالاستشراق يعتمد عادة على العلم والثقافة ومحاورة الأفكار وعقد الدراسات المقارنة، وهو موجه بالدرجة الأولى إلى طبقة المثقفين بينما يعتمد التبشير على وسائل أخرى كالمساعدات الطبية والغذائية وبناء الملاجئ والمستشفيات وتقديم المساعدات والهبات باسم الإحسان النصرانى.

وبعبارة أخرى، إن الاستشراق حمل أعباء الأعمال فى ميادين المعرفة (الأكاديمية) واستخدام البحث العلمي فى تحقيق أهدافه؛ فلجأ إلى الكتابة والتأليف والمحاضرات والمناقشات العلمية، والمؤتمرات المنتظمة، وتأسيس كراسي لدراسة الشرق فى جميع مناحي حياته.

أما التبشير فهو يلجأ إلى التأثير على مظاهر الحياة العقلية العامة التى تتناسب ومفاهيم الجماهير كاستخدام وسائل التعليم المدرسي فى دور الحضانة ورياض الأطفال، وكذلك إنشاء المؤسسات الخيرية كالمستشفيات ودور الضيافة للكبار ودوراً الأيتام...[١]

(١) أجنحة المكر الثلاثة: عبد الرحمن حبنكه. مرجع سابق ص٩٤.

وهكذا لعب المستشرقون والمبشرون فى تلك المرحلة أدواراً سياسية في غاية الأهمية أدت إلى انتشار الاستعمار الأوروبى، وسيطرته على العالم الشرقي بصفة عامة والعالم الإسلامى بصفة خاصة.

ثالثاً: مرحلـة الاستشـراق السيـاسـي:

الحق الذى لا جدال فيه أنه بعد انتهاء الحروب الصليبية، وسقوط الأندلس فى أيدى النصارى وجد اللاتين ثروة علمية هائلة من المؤلفات العربية النادرة فى شتى أنواع المعرفة؛ فاستولوا على تلك المؤلفات وعلى هذا التراث الإسلامى وينبغى أن نلحظ أن كلمة تراث تستخدم بمعنيين اثنين فى هذا المجال أنها تعنى إسهام الإسلام فى إنجازات النوع الإنسانى بكل مظاهرها وتعنى اتصال الإسلام ولقاءه وتأثيراته على ما يحيط به من العالم غير المسلم.[1] وجمعوه فى مكتباتهم، وعكفوا عليه، فتكونت لديهم معارف واسعة عن الشرق من حيث العادات والتقاليد، والاقتصاد ومواطن القوة والضعف، وثروات طبيعية... مما أغرى الغرب بالاستيلاء على هذه البلاد والسيطرة على مقدراتها الاقتصادية والإلمام بطرق حياتها وتركيب سكانها، وهذا كله لا يمكن أن يتم دون أن يسبقه دراسات مفصلة لإعطاء فكرة واضحة لا لبس فيها ولا غموض توطئة لاستعمار هذه البلدان.

وليس هناك من يقوم بمثل هذا إلا المبشرون والمستشرقون؛ فسخرت الحكومات الغربية هؤلاء لخدمة أغراضها الاستعمارية فقدموا إليها ما تحتاج إليها من تراث

(1) انظر تراث الإسلام، جوزيف شاخت، ترجمة شاكر مصطفى، كتاب عالم المعرفة، العدد رمضان ١٣٩٨- ١٩٧١ الكويت ص١٥.

الشرق لفهم عقليته وأمزجته، وتفاصيل حياته ومواطن الضعف فيه فاختلطوا بأهله يمهدون للاستعمار الغربى.

ونحن لا نستطيع أن نتعرض بالتفصيل إلى هذه الأعمال نظراً لاتساعها وشموليتها؛ مما يخرجنا عن موضوع بحثنا ولكن سنكتفي بالكلام عن حملة نابليون على مصر لما لهذه الحملة من آثار كبيرة على حركة الاستشراق فنقول:

يرجع أصل الحملة الفرنسية على مصر إلى التنافس الشديد بين بريطانيا وفرنسا فعزم نابليون على توجيه ضربة قاضية لإنجلترا فقرر الاستيلاء على مصر ثم الشام ثم الهند باعتبارها. .لؤلؤة التاج البريطاني.[١]

ولم يبادر نابليون إلى تنفيذ مشروعه إلا بعد اطلاعه على عديد من الكتب والتقارير التى وصفت أحوال مصر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وصفاً دقيقاً، وقد كتبها المستشرقون من رحالة، وقناصل وكان عددهم تجاوز خمسة وسبعين ومائة عالم فى جميع نواحي المعرفة الإنسانية.

وأسس المجمع العلمى المصري، وكان رئيسه عالم الرياضيات الشهير جاسيا رمونج فى حين اتخذ نابليون لنفسه لقب نائب رئيس المجمع العلمي المصري.. واستغل المسائل الإسلامية أيما استغلال عندما وصل إلى التراب المصري، وادعى بأنه مسلم حقيقي فى إعلانه الذى وزعه على سكان الإسكندرية يوم ٣ يوليو ١٧٩٨م، وأسس الديوان العام الذى عين فيه العديد من أعيان البلاد ومشايخ الجامع

(١) تاريخ الإسلام:حسن إبراهيم، مطبعة لجان البيان العربي، الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٥٧م، ص٩٥.

الأزهر على الرغم من أنه لم يكن لهذا الديوان أية صلاحيات من الناحية الفعلية، ويقال: إن عدد مشايخ الأزهر فى هذا الديوان كان ستين عضواً. [١]

ولا شك فى أن من أهم نتائج الحملة الفرنسية على الاستشراق هو الاتصال المباشر المنظم بالشرق، والكشف عن طريق الملاحظة عن أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك إنجاب مجموعة من العلماء والباحثين الذين تخصصوا بالدراسات الاستشراقية وتضلعوا فيها إلى أبعد مدى، وخير دليل على ذلك كتاب (خط الرحلة من باريس إلى القدس)الذى كتبه شاتوبريان ذلك المؤلف الذى كان كارهاً الإسلام ماقتاً تعاليمه ينظر إليه على أنه العدو الأول والأخطر للنصرانية، ويرى أن ديانة الإسلام وحضارة المسلمين وسلوكهم من الانحطاط والوحشية بحيث انهم يستحقون الغزو من جديد، وأن الحروب الصليبية كانت من العدالة والإنصاف، ويرى كذلك أن الإسلام ليس دينا ولكنه عبارة عن مذهب سياسي، وأن النبى محمداً– صلى الله عليه وسلم– ليس إلا فاتحاً شأنه في ذلك شأن الإسكندر أو نابليون!!

ولذا فإن خطر الإسلام سياسياً وليس دينياً. أما القرآن فما هو إلا قصة اخترعها محمد– صلى الله عليه وسلم– وأنه لا يحتوى على أى مبدأ للحضارة فيقول ": إن كتاب محمد لم يبحث على أى مبدأ للحضارة ولا على اية تعاليم تسمو بالشخصية، إنه لا يعظ مقت الاستبداد والطغيان ولا يحث على حب الحرية"[٢].

(١) محمد عبد الكريم الوافي: يوسف باشا الفرماتلى والحملة الفرنسية. المرجع السابق ص٩٥ وما بعدها بتصرف.

(٢) انظر يوسف باشا والحملة الفرنسية، محمد عبد الكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا ١٩٨٤م ص٧٥ وما بعدها بتصرف.

وهكذا تتجلى الأغراض السياسية الاستعمارية لدى المستشرقين الذين زاروا الشرق بعد حملة نابليون على مصر، وقد اقتصرنا على هذا الكاتب لأنه أشهر الأدباء الفرنسيين فى القرن التاسع عشر.

رابعاً: مرحلة الاستشراق العلمية:

ينبغى أن نلحظ منذ البداية أننا لا نعني بتقسيم مراحل الاستشراق أن كل مرحلة من المراحل الأربع مستقلة بذاتها، ولكن هذه المراحل عبارة عن دوائر متداخلة فى بعضها لا تنفصم إحداها عن الأخرى، كما أنه يمكن أن تستقل كل مرحلة بخصائص مميزة، لأن كل مرحلة تحتوى على خصائص المرحلة التى تليها، فمرحلة الاستشراق العلمية لا تعني أن الباعث للاستشراق فى تلك المرحلة باعث علمي يتسم بالموضوعية في البحث والنقض وكذلك بالأمانة العلمية فى عرض الأفكار!!! فليس هذا بصحيح ذلك لأن دوافع الاستشراق المختلفة تتداخل وتتشابك بعضها مع بعض فلم تسلم تلك الدراسات من الأغراض الدينية والسياسية ومرحلة الاستشراق العلمي تطلق زمانيا على النشاط العلمي للظاهرة الاستشراقية منذ نهاية الحملة الفرنسية على مصر حتى وقتنا الراهن. ولقد اهتم المستشرقون الفرنسيون فى النصف الأول من القرن العشرين باللهجات العامية!! ورفع لواء الاستغناء تدريجيا عن اللغة العربية الفصحى، ووجدت هذه الدعوة أنصاراً فى الشرق، وكان هذا المشروع فى أصله أستعمارياً يبتغى إدخال العامية بدلا من الفصحى لزيادة التفرقة بين العرب، وازالة الوحدة اللغوية التى تعد أهم مقومات وحدتهم والقضاء تدريجيا على لغة القرآن الكريم

[1] واشتهر منهم وكوربان Corbin ولويس ماسينيون فادا Vajda، وغيرها أما فى انجلترا فكان الفرد جيوم Guillaume الذى شغل منصب أستاذ اللغة العربية فى معهد الدراسات العربية والأفريقية، وهو عضو بالمجمع اللغوي بدمشق، والمجمع العلمي ببغداد ومن اشهر مؤلفاته التى تهمنا فى هذا المقام النبوءة والكهنة، حياة محمد، وضوء جديد على حياة محمد.

ثم جاء هاملتون جب H.Gibb الذى يعد أشهر مستشرق بريطانى في القرن العشرين الذى عين عضوا بالمجمع العلمى بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة!! وله موقف شهير من الإسلام كما سنرى.

أما الاستشراق الألمانى فيكفى أن نتذكر بروكلمان صاحب المصنف الشهير (تاريخ الأدب العربى) وقد قضى مؤلفه خمسين سنة من عمره وهو يجمع ويدرس ويراجع مواد كتابه حتى وصل إلى ما هو عليه.

أما أشهر المستشرقين الأمريكيين فهو صمويل زويمر Zewemer مات عام ١٩٥٢م، وهو رئيس تحرير مجلة عالم الإسلام، ويمتاز بالتعصب والتضليل الشديدين وأهم المشتشرقين الأمريكيين من أصل عربي فيليب حتى الذي ألف عديداً من الكتب حول التاريخ الإسلامى وكذلك فرانز روزنتال.[2]

(1) انظر الظاهرة الاستشراقية، ساسي الحاج، مرجع سابق ص١٢٣.
(2) انظر معالم الطريق للبحث والتحقيق، عبد القادر البحراوي، الدار الأندلسية للنشر - الأسكندرية ١٩٩٨م. ص١٨٣.

الخـاتمــة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي علم الإنسان ما لم يعلم. أحمده وأشكره على توفيقه وإعانته على إتمام هذا البحث، وأسأله المزيد من فضله وإنعامه، وأصلي وأسلم على خير الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه أهم النتائج التي خرجت بها من خلال بحثي هذا:

١- يعني الاستشراق التوجه للشرق بدراسة علومه ولغاته وأديانه ومذاهبه وتاريخه وجغرافيته وحضارته (وخاصة ما يتعلق بالإسلام واللغة العربية).

٢- نشأ الاستشراق بعد أن شعر الغرب بعجزه عن مواجهة المسلمين عسكرياً، في عهد الفتوح الإسلامية، ثم انحسار الحملات الصليبية دون حصولهم على النتيجة المطلوبة.

تنوعت أهداف مؤسسات الاستشراق والمستشرقين عموماً تبعاً لأديانهم، وطموحاتهم الشخصية: بين الأهداف العلمية والمالية والدينية والسياسية الاستعمارية. إلا أن الهدفين الديني والاستعماري غلبا على سائر الأهداف.

٣- تعددت المدارس الاستشراقية من فرنسية وإيطاليا وانجليزية. .....ولكن الهدف واحد.

Abstract:

This research is summed up in Orientalism and its related concept, which is what Westerners wrote about this field of knowledge that institutes, colleges, and scientific departments were established to study. Some Western researchers believe that the term Orientalism appeared in the West two centuries ago, and some of them said that Orientalism is a science that specializes in philology in particular. Some of them said that the term Orientalism appeared in the English language and Orientalism Rather, it arose out of the need to find a specialized branch of knowledge to study the East, and some of them say that it is academic studies carried out by Westerners of Islam in various aspects of its doctrine, law, culture, civilization, and wealth, with the aim of distorting Islam and many other definitions.

As for its origin, researchers differed in determining the year of the emergence of Orientalism. Some of them believe that the principle of Orientalism goes back to the French monk Gerber Douille Auric, and there are those who claim that the beginning of Orientalism dates back to the twelfth century AD, when the Holy Qur'an was translated into Latin and other things, but it is difficult to determine A specific history of the emergence of Orientalism.

- Stages of Orientalism
- Religious stage
- Military phase
- Political stage
- Scientific stage

Orientalism arose after the West felt its inability to confront Muslims militarily during the era of Islamic conquests, and then the decline of the Crusades without them obtaining the desired result.

Keywords: Orientalism (its concept, origins, stages).

المصادر والمراجع:

١- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير – الاستِشراق – الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢- آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم د. أحمد نصري، ط١: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع٢٠٠٩م، رباط – المغرب.

٣- الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، د. أحمد درويش، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٧م، مصر.

٤- الاستشراق أهدافه ووسائله، د. محمد فتح الله الزيادي، (دمشق: دار قتيبة، ط٢/٢٠٠٢م).

٥- الاستشراق بين الحقيقة والتضليل د. إسماعيل علي محمد، ط٣: ٢٠٠٠م، بدون دار الطباعة.

٦- الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي د. مازن بن صلاح مطبقاني، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٦-١٩٩٥م.

٧- الاستشراق والتبشير، أ. د. محمد السيد الجليند، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

٨- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، (القاهرة: دار المنار للطباعة والنشر). ط٢: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٩- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، طبعة ونشر دار المعارف١٩٨٢م القاهرة – مصر.

١٠- الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي ط٢: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.

١١- الاستشراق وجه للاستعمار الفكري د. عبد المتعال محمد الجبري، ط١: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة – مصر.

١٢- الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، المؤلف: عبد المنعم محمد حسنين، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة – العدد الثاني – ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧ م.

١٣- الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، السيد محمد الشاهد" مجلة الاجتهاد، عدد٢٢، السنة السادسة، شتاء عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٤- الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، فالح بن محمد بن فالح الصغير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، بدون تاريخ.

١٥- الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمه: كمال أبو ديب، (ط٢/ ١٩٨٤ م)، مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت.

١٦- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي ود. عمر فروخ، الناشر: المكتبة العصرية- صيدا، بيروت ط٣/١٩٨٦م.

١٧- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي ود. عمر فروخ، الناشر: المكتبة العصرية- صيدا، بيروت ط٣/١٩٨٦م.

١٨- ظـاهرة انتشـار الإسـلام وموقـف بعـض المستشـرقين منهـا محمـد فـتح الله الزيادي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس- الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط١: ١٩٨٣م.

١٩- المبشـرون والمستشـرقون فـي مـوقفهم مـن الإسـلام، للأسـتاذ الـدكتور محمـد البهيّ، الناشر: مطبعة الأزهر- مصر، بدون تاريخ.

٢٠- المستشرقون والتنصير، علي بن إبراهيم الحمد النملة، الناشر: غير معروف، ط١: بدون تاريخ.

٢١- المستشرقون، نجيب العقيقي، ط٤: الناشر: دار المعارف١٩٨١م، القاهرة – مصر.

المـراجـع الأجنبيـــة:

1- ." The Question of Orientalism. In New York Times Review of Books. June 24,1982. Pp. 49-56.

2- Dona'd Campell: Arabian medicnire and its incjuens on the midde ages, London 1936 p 68.

3- McLouchlin, Leslie (2002), In a Sea of Knowledge: British Arabists in The Twentieth Century, London: Ithaca Press.

4- Auchterlonie, Paul (1986), Arabic studies in Britain: The development of Arabic studies in Britain from the middle ages to the present day. In: Burnett, David. (Ed.), Arabic Resources: Acquisition and management in British Libraries: (pp.1-10) London and New York: Mansell Publishing Limited. P.4

5- Europe And The Middle East (London: The Macmillan Press Ltd.)1980.p 104ff